

المصدر: العربي

التاريخ: ٢٣ يونيو ٢٠٠٢

أكرم القصاص يرصد جديد التقرير الاستراتيجي العربي

عالم ما بعد ١١ سبتمبر أكثر أمريكية!



■ الولايات المتحدة استغلت الأحداث وخرقت القانون الدولي والإنساني
■ خلط متعمد بين المقاومة والإرهاب ■ التيارات الإسلامية اتجهت من العنف إلى السياسة وما زال أمامها الكثير

حسن أبو طالب الشكر على الجهد الكبير المبذول فيه، والذي أدى إلى خر وجه بشكل بحثي متعمق تعامل مع أغلب المتغيرات وخلا من الخطابية والتوسع في الرأي مثلما جرى في سنوات الأخيرة. ومنذ السطر الأول حتى السطر الأخير تفرض على القارئ أحداث ١١ سبتمبر، والهجوم لانتحاري بالطائرات على واشنطن ونيويورك، وهو الحدث الذي اختصر أحداث العام ٢٠٠١، في أربعة أشهر فقط نسيت الدنيا ما قبلها وما بعدها. وكان عالم ما قبل سبتمبر غيره بعدها ويصعب على أحد أن يتوقف عند حدث في العالم قبل يوم ١١ سبتمبر، ولذلك أطمأن فريق التقرير إلى اعتبار الأحداث مركز الحدث العالمي الذي تركزت حوله دوائر أخرى تأثرت به.

وجاء تأثير الحدث على العالم من حيث تهميش دور الأمم المتحدة والمنظمات الدولية لصالح القرار الأمريكي والانحياز لصالح الرغبات الأمريكية، والعدوان على الأبرياء بدعوى مكافحة الإرهاب بلا قرائن واضحة. ثم الخلط المتعمد بين حق مقاومة الاحتلال وبين الإرهاب، ومحاولة نزع صفة الإرهاب والعنصرية عن العدوان الإسرائيلي وإسباغ صفة الإرهاب على المقاومة الفلسطينية، كما تجاوزت التدخلات الأمريكية الجديدة في العالم التدخلات السابقة بدعوى إنسانية في كوسوفو والبوسنة وغيرها، بعيدا عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن، وتطور مع أحداث سبتمبر لتقوم الولايات المتحدة بتدخل عسكري للقضاء على ما تعتبره بالإرهاب في أفغانستان أو إعلان نيتها في تغيير الحكم في العراق، الأمر الذي مثل تجاوز القانون الدولي حتى لو كان ذلك بمزاعم إنسانية ولم تعد حالات التدخل

قبل أيام صدر التقرير الاستراتيجي العربي، عن مؤسسة «الأهرام»، والذي استمر صدوره منذ عام ١٩٨٥ بهدف تقديم حصص استراتيجي للأحداث الدولية والإقليمية وتأثيراتها على الواقع العربي سلبي أو إيجابا، تقرير هذا العام يصدر بإدارة تحرير جريدة، وأول ما يلفت النظر فيه منذ اللحظة الأولى الإخراج والتصميم الفني الخارجي والداخلي المتميز والذي منحه مزيدا من الجاذبية التي جمعت بين الرصانة والتجديد.. وبدأ فيه الجهد الكبير الذي بذله الفنان الكبير حامد العويضي، ويستحق الشكر عليه. وهناك عدة أمور لافتة للنظر في تقرير هذا العام، أولها أن التقرير صدر خلال شهر يونيو بعد ٦ أشهر من بداية العام بينما الأحداث والمعالجات تتوقف عند نهاية عام ٢٠٠١، الأمر الذي قد يحدث لبسا على القارئ، الذي يشعر في بعض المناطق أن الأحداث تجاوزت ما يقدمه التقرير، مع الاعتراف بأن فريق التقرير نجح إلى حد كبير في تركيز المعالجات خاصة فيما يخص الانتفاضة والصراع العربي الإسرائيلي، الذي تغيرت أشكاله وتضاعفت سخونته دون أن تتغير مضامينه، الصراع مستمر والطريق المسدود أيضا. وجاءت المعالجة مصاحبة للأحداث باستثناءات قليلة. ونفس الأمر في التفاعلات الإقليمية التي بالرغم من كثرة التفاصيل التي جرت فيما بعد نهاية العام الماضي، ظلت الأوضاع كما هي تقريبا.. وأما الجزء الخاص بالحركة الإسلامية والإسلام والمسلمين ومستقبل الجماعات الإسلامية مركزا وأمسكت برؤية واضحة للأحداث، ونفس الأمر فيما يخص التفاعلات الإقليمية والصراع العربي الإسرائيلي، والنظام الإقليمي العربي، بقضاياها الساخنة ويستحق فريق التقرير برئاسة تحرير الدكتور

فضلا عن تطويع باكستان والهند وتأمين المساهمة التركية وتعاون سلب مع إيران التي بالرغم من قطيعتها الدبلوماسية مع أمريكا، فقد تم تضييقها واستمر الحزن الأمريكي للقانون بعد سقوط طالبان وفي التعامل مع الأسرى، حيث تم ان يتفاهلهم في

جزيرة جواتنامو ووسعت الولايات المتحدة من حملتها العسكرية، وعادت بعد الانتهاء من تدمير طالبان إعلان حربها على الإرهاب والتطويع بضرب العراق، كما امتدت الحملة إلى اليمن، وأتجه مؤشرا إلى الصومال، حتى أعلن بوش عما أسماه محور الشر الذي ضمه العراق وكوريا الشمالية وإيران عن حيازتها، لأسلحة بمار شامل دون أن يقدم دليلا واحدا.

ويعد تلك التسوية السياسية للأزمة الأفغانية، التي حرصت خلالها الولايات المتحدة على صياغة حكومة ما بعد الحرب في إطار موال، حتى ولو تم ذلك في شكل مؤتمرات مارست فيها أمريكا والاتحاد الأوروبي ضغوطا - العصا والجزرة - لضمان مرونتها لإرساء توازن انقسام السلطة في أفغانستان.

ويشير التقرير إلى أن أمريكا حاولت تقديم صورة مثالية عن كيفية تحقيق أهدافها، لكن الممارسة الواقعية للسياسة الخارجية الأمريكية لا تتفق مع هذه الصياغات المثالية حيث تحرص على صيانة الأمن الأمريكي بالمعنى الضيق حتى لو جاء على حساب الحلفاء والأصدقاء، وتحرص على تحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعبها بغض النظر على أي أضرار قد تتعرض لها المصالح الاقتصادية للدول الأخرى، واهتمامها بفشر الديمقراطية جاء بما يخدم مصالحها المباشرة، ولم تتورع أمريكا عن دعم ومساندة الديكتاتوريات في العالم الثالث طالما هذه النظم تضمن المصالح الأمريكية.

وينقل التقرير إلى أكثر القضايا الإقليمية سخونة، حيث يشرح موقف وموقع الحركة الإسلامية بعد هجمات ١١ سبتمبر على أمريكا. ويستعرض في ٣ فصول مهمة الحركة الإسلامية والإسلام في النقد والإعلام الغربي، ثم مستقبل الجماعات الإسلامية بعد الأحداث... وترجع أهمية هذه الفصول إلى أنها ترصد بشكل واضح مواقف المؤسسات الرسمية أو غير الرسمية من الأحداث، وتحاول تحديد الآثار المباشرة وغير المباشرة للأحداث عليها، فضلا عن محاولة دراسة مستقبل الجماعات الإسلامية على ضوء هذه الأحداث وأفعالها وردود أفعالها، الأمر الذي يضيف أهمية على هذه المنطقة، ويجعلها تقترب أكثر من الرؤية المستقبلية استنادا إلى الواقع.

ويشير التقرير إلى أن المسلمين وجدوا أنفسهم بعد الهجوم السبتمبري على الولايات المتحدة في موضع الاتهام بهجومهم، وأن هناك تصميمًا أمريكيًا على توجيه أصابع الاتهام لهم إجمالًا ودون تحديد طرف

بعينه، حتى بعد حصر الاتهام في تنظيم القاعدة وأسامة بن لادن - بدون أدلة مؤكدة - ظل سيف الاتهام معلقا على رقابهم، وانعكس في إجراءات مصادرة وحصار وحظر على مؤسسات ومنظمات إسلامية أهلية وغير أهلية داخل وخارج الولايات المتحدة، مع ما رافق ذلك من خلط شبة متعمد بين الجماعات المتهمة، أو تلك الخيرية وبين الدعوية والجهادية. وفي حين حرصت القوى الإسلامية على تنوع اتجاهاتها على ضبط النفس والإسراع بدر، الاتهام الأمريكي، كانت مشاعر الغضب والسخط على السياسات الأمريكية قد اتخذت طريقها للشارع المسلم والعربي، وبدأ بن لادن - تحت ضغط الظلم الأمريكي في صورة البطل والمخلص

الجديدة تكثر بالسيادة أو حقوق الإنسان أو تفرق بين العمل العسكري والسياسي أو الثقافي، وتجاوز التدخل الأمريكي تغيير الأنظمة الحاكمة التي لا ترضى عنها أمريكا، إلى الرغبة والعمل على تغيير جزئي في عقليات الأجيال العربية القادمة نحو مزيد من القبول للسياسات الأمريكية.

ويتضمن التقرير الاستراتيجي مقدمتين، إحداهما قصيرة كتبها رئيس تحرير التقرير، تليها مقدمة ثانية طويلة في ٢٤ صفحة، كتبها الأستاذ السيد ياسين، بعنوان «نحو مبادرة حضارية عربية» لم تتضمن جديدا، وتبدو إلى حد ما خارج سياق التقرير، فهي أقرب لمجموعة مقالات طويلة، ترصد ما يسمى «الأزمة الثقافية العربية». وتقدم تذكيرا مكررا حول أزمة الديمقراطية في الوطن العربي من خلال إثارة الندوة بهذا الاسم ثم شيوع الالمبالاة السياسية بين الجماهير المقموعة، وأزمات المجتمع المدني العربي، والفجوة بين ثقافة النخبة والثقافة الشعبية، وأزمة الهوية إلى آخر الثنائيات التقليدية التي تريد قول كل شيء، وفي النهاية لا تقول شيئا.

التقرير جاء في خمسة أبواب. التفاعلات الدولية ثم التفاعلات الإقليمية، والصراع العربي الإسرائيلي، والنظام الإقليمي العربي ثم الحالة في مصر سياسيا ومدنيا واقتصاديا.

تحت عنوان «العرب والمسلمون بعد هجمات سبتمبر

يغرد التقرير الاستراتيجي بابا يضم ٨ فصول، ويعتبر أن أزمة هجمات سبتمبر مثلت واحدة من أبرز أزمات النظام الدولي في فترة ما بعد الحرب الباردة، حيث أثرت على علاقة الولايات المتحدة والعالم من خلفها بما سمته الإرهاب الدولي، وداخلها أثرت على صياغة النظم الأمنية الأمريكية الداخلية لمواجهة التهديدات الخارجية. كما ألقت بآثارها على الحركة الإسلامية، بكل فصائلها المسلحة والسلمية والدعوية والجهادية وألقت بظلالها الاقتصادية أمريكيا ودوليا.

ويشير إلى التحالف الدولي الذي أقامته الولايات المتحدة على عجل ووظفت فيه جميع سلطاتها الدولية كقوة عظمى للانتقام بمن اتهمتهم بارتكاب هجوم سبتمبر وما رافق ذلك من تهيش للقانون الدولي والاستناد إلى القوة الأمريكية في تركيز التفويض باستخدام القوة بقالب دولي، واعتبر أن التهديد الذي تعرضت له الولايات المتحدة الأمريكية هو تهديد للأمن والسلم الدوليين، وهو ما تبدى في القرارات التي أصدرها مجلس الأمن بإدانة العمليات وشجب الإرهاب وتسويغ أية إجراءات تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية، وقد تبلورت الإجراءات في عدة محددات منها التوجه الأحادي لإدارة بوش مع تصاعد الأفكار الخاصة بالحروب الدينية وصدام الحضارات وغياب مفهوم أو تعريف محدد لمهية الإرهاب من خلط وعدم تمييز بين الإرهاب والمقاومة المشروعة للاحتلال، خاصة في فلسطين والدول العربية المحتلة.

ويشير التقرير إلى أن إدارة الأمريكية استغلت الاعتداءات سبتمبر لشن هجوم سياسي على المختلفين مع سياساتها، وكما فعل أسامة بن لادن في تقسيم العالم إلى مؤمن وكافر قسمت أمريكا العالم إلى محور الشر وآخر للخير، ومعسكرين واحد للديمقراطية وثان للإرهاب، كما عدت إدارة بوش على تأمين دعم خارجي لوقفها بما يضمن غطاء سياسيا ومعنويا وتم توظيف الأمم المتحدة، ومجلس الأمن، وامتصاص الاعتراضات الأوروبية التي دعت لتهميل وتقديم أدلة نهائية ضد المتهمين، نهتيد الدول المعارضة غير التابعة، فضلا عن تأمين دعم روسي بالإغراءات والتهديد استنادا لدفع الدعاية الروسية،

المشوهة التي حاول الاعلام الامريكى والغربى تصديرها الى العالم والتي وردت في احدى خطابات بوش حول الحرب الصليبية وتصريحات رئيس الوزراء الايطالى بيرلسكونى القاسية والمتعالية والجاهلة حول تفوق الحضارة الغربية عن الحضارة الاسلامية، مع سيادة التصريحات المعادية، وتركيز الكثير من وسائل الاعلام الغربى على تصدير صورة أحادية مقولبة للإسلام والمسلمين دون تميز، ومحاولة الاتجاهات الرسمية الأوروبية للتحقيق في هذا العداء وإعلان احترامهم للإسلام وهو ما لم يتجلى في تصرفات تناسب ذلك حيث تواصلت حملات الكراهية الغربية، فضلا عن الاجراءات الامنية والترصد والاعتقال للعرب والمسلمين، والتضييق عليهم في الغرب وفي امريكا، والمشاركة لصياغة اجراءات وقوانين بدت مضادة للمسلمين أكثر منها للجماعات العنيفة أو تمويل الارهاب. وفي حين لم تكن العدوانية ضد الاسلام هي الرؤية السائدة علي مستوى الرأي العام الاوروبى، إلا أن الاعلام الغربى بدا غير محايدة وركز علي صورة العداء وروج لصورة تمطية للعربى والمسلم، وفي مقابل ذلك لم تظهر استراتيجية اعلامية او اسلامية تواجه هذا العداء حيث تبدى عجز وسائل الاعلام الغربية عن توظيف امكاناتها الفضائية والاعلامية لاجراء حوار أو نقل صورة صحيحة للإسلام والمسلمين، واقتصرت كل ذلك بخطاب دعائى فج يخلو من القدرة علي مخاطبة العقول والبناء في تجاه متراكم.

ويشير التقرير الي ما اصاب الفكر الغربى من انقسام سادته اعلاميا رؤية تصادم الحضارات وافكار فوكو ياما هنتجنون حول صدام الحضارات واتهام العرب والمسلمين بالفاشية ورفض التقدم ومحاولة عرقلة الغرب وحضارته وحروب المسلمين وباعتبار الصراع حضارى وليس سياسيا جزئيا مع تنميط وقولية صورة واحدة للعرب والمسلمين بعيدا عن أية اختلافات سياسية أو فكرية وبين جماعات تنظيمات يختلف في رؤاها حتي مع الشعوب الرسمية والفكرية الاخرى.

وادي ان اغلب الحروب التي دارت هي حروب تشاور فيها احزاب المسلمين بينها كانت هناك رؤى أخرى مثل بعضها فريد هاليداي الباحث الايرلندي في كتابه ساعتان هزتا العالم الذي حاول البحث عن اسباب وجذور أحداث سبتمبر في الفكر والسياسات الغربية والعالم، والباحث الفرنسى برتران بادي عن خطأ اعداء الاسلام سببا لاحداث سبتمبر.

ومن خلال رصده لمستقبل الجماعات الاسلامية بعد هجمات سبتمبر يرسم التقرير خريطة للجماعات الاسلامية الدينية ويقسمها الي جماعات فعالية ومتشددة سلمية منها التكفير والهجرة وإعادة الدعوة، ثم الجماعات العنيفة، محلية الطابع او الاستقلالية الانفصالية أو الدولية.. واخيرا الجماعات السياسية والاجتماعية، سواء منها الساعية للحكم مثل الجماعات السلمية وتمثال الاخوان المسلمين في مصر والنهضة في تونس وجبهة الانقاذ في الجزائر، ثم جماعات التحرر الوطني المسلمة مثل حماس والجهاد والفلسطينيين ويتوقع التقرير ان تستمر الظاهرة الإسلامية.

ويستعرض الجزء الخاص بالحركة الإسلامية ردود الأفعال المختلفة من قبل الجماعات الإسلامية التي أعلنت رفضها للاتهامات الأمريكية، ففي حين أعلنت طالبان التي كانت حاكمة في أفغانستان رفض تسليم بن لادن، ثم أعلن السماح له بمغادرة البلاد. وفي حين أعلنت حركة الجهاد الإسلامى في فلسطين معارضتها لاستهداف المدنيين على اختلاف معتقداتهم، وحملت السياسات الأمريكية مسئولية الاعتداءات.

في حين أن حزب الله اللبناني أسفه لقتل الأبرياء في كل مكان ودعا للوعى والحذر من تعميم الاتهامات ويرى التقرير أن هناك قواسم مشتركة فيما بينها، أهمها عدم الاقتناع التام بالاتهامات الأمريكية للقاعدة وبين لادن لغياب الدليل. كما أنها أدانت قتل الأبرياء والسياسة الأمريكية، لكن لم يصدر عنها إدانة حركة لبن لادن، وهو ما يعتبره التقرير موقفا لا أخلاقيا في الشكل لكنه يتسق مع علاقة الجماعات الإسلامية بالولايات المتحدة ورفضهم لظلمها فضلا عن عجز الولايات المتحدة عن تقديم دليل واضح باتهام القاعدة وبين لادن.

المؤسسة الرسمية في مصر والسعودية التي لم تخرج عن إدانة الهجوم والدعوة لعدم الخلط بين المقاومة والإرهاب بكما يرصد الجدل الذي دار بين عدد من الشخصيات الإسلامية نقله حول التحالف لدول إسلامية مع أمريكا ودول غير إسلامية فضلا عن قتل المدنيين مع تباين المقاومة جواز مشاركة الجنود المسلمين في الجيوش غير الإسلامية لمحاربة مسلمين.

وفي النهاية يرى التقرير أن مواقف الحركة الإسلامية من جماعات رسمية وغير رسمية كشفت

عن أن المسلمين ممثلين في كل الاشكال التنظيمية يعرفون ما يريد الطرف الآخر، ولا يعرفون ما يريد هم، حيث كان القاسم المشترك رفض الاتهام في المسلمين وتوجيه النقد للسياسات الأمريكية، وكان ذلك رد فعل دون تقديم بديل أو مشروع واضح يتجاوز مساحة رد الفعل، كما غلب منطق الدفاع والتبرير للرؤى الإسلامية في مثل هذه المواجهات مع الغرب، وهو ما بدا أقل كثيرا من حجم الضغط الخارجى للتأثيرات السلبية التي لحقت بصورة الاسلام المسلمين ونفس الامر في رد الفعل اعلاميا وجماعيا الذي لم يتجاوز الدفاع، وظهر تباين في مواقف الجماعات الإسلامية من مواقف دولها الرسمية المغادون في التحالف الامريكى بين رافض ومؤيد، كما ساد الاتفاق على تعرض الجماعات الإسلامية العنيفة لضربات قوية. مع سيادة اعتقاد بضرورة اختفاء الجماعات الإسلامية المسلحة، في حين أدى العداء للسياسات الأمريكية الي الدفع نحو تحالفات سياسية بين القوى والاتجاهات المعادية للسياسات الأمريكية بغض النظر عن الاختلافات الايديولوجية بين هذه القوى وبعضها. واخيرا أن القضية الفلسطينية وجدت نفسها محشورة قسرا وعنوة في هجمات سبتمبر حيث التصقت منذ البداية في ذهان الرأي العام، وبدأ أن الظلم اللاحق بها من جانب إسرائيل وأمريكا هو سبب رئيسى لتأميم الصراع بين الاسلام والغرب.

وينتقل التقرير لمناقشة موقع الاسلام والمسلمين في الاعلام والفكر الغربى، ويتطرق الي الصورة